

تخيل من الخيال المحلق، في يوم (١١ أغسطس الجاري)، سجلت الساعة السكانية زيادة في عدد السكان في مصر (ربع مليون نسمة) في (الخمسين يومًا الأخيرة)، بمعدل زيادة يومية (٥ آلاف نسمة)، تقريبًا (٤ أطفال في الدقيقة)!!.

إزاء رقم قياسي مفزع في عدد المواليد، آخر رقم مسجل في (٢٢ يوليو الماضي)، زيادة (ربع مليون نسمة) في (٥٩ يومًا لا غير)، قبلها مباشرة وفي (٢٤ إبريل الماضي) زيادة (ربع مليون) في (٦١ يومًا)، المعدل يزيد بوتيرة جنونية!!.

أرقام جد مقلقة، الساعة السكانية لا تكذب، وعقاربها تلدغ النائمين في العسل المر، تدق مُحذرة من خطر الانفجار السكاني، علهم يفيقون من الغفوة، لو مشينا بهذا المعدل.. ويلك يا وطن.

المهندس «مصطفى مدبولي»، رئيس الوزراء، بدا قلقًا في مؤتمره الصحفي الأخير، محذرًا من مخاطر الزيادة السكانية الرهيبة، مصر الدولة تزيد دولة صغيرة سنويًا، دولة عدد سكانها ما يفوق المليونين بكثير، ترجمة الأرقام في نماذج وأمثلة صعبة الاستيعاب، كيف هذا؟.

«مدبولي» محذرًا: «لن نشعر بعائد أي جهد يُبذل من قِبَل الدولة والحكومة مادامت الزيادة السكانية بالمعدلات الحالية».. صح كلامك، الأرانب ستأكل حشيشة الوطن الجافة!!.

الساعة السكانية بأرقامها الحمراء، أعلى بناية الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، تدق عاليًا، تنذرنا، لقد كسرنا السقف، حاجز الـ ١٠٠ مليون، تجاوزنا وصف الأزمة، في الأزمة تكون هناك القدرة على التدخل ودرء آثارها، بينما في الكارثة يكون التدخل فحسب لتخفيف الآثار الناجمة عنها، والأزمة قد تتطور عندما لا نعترف بوجودها ولا نتعامل معها بالشكل السليم، فإنها في هذه الحالة تتحول إلى كارثة، بينما الكارثة تولد الأزمات.

وهذا ما يستشعره رئيس الوزراء، مصر بهذا المعدل في الزيادة السكانية مقبلة على كارثة محققة، الساعة السكانية ليست للزينة والفرجة، والإشارة حمراء في طريق المطار، ولكنها ناقوس خطر لينذر قومًا، فهم غافلون.

أخشى أن نصل يومًا إلى أرقام تفوق قدرة الدولة على الاستيعاب، ستجوع الأرانب في جحورها، مواردنا جد محدودة، والرقعة الزراعية تتزايد بالتيلة، وتوليد فرص العمل بشق الأنفس، ومتوالية الجوائح والحروب تحش وسط الاقتصاد الوطني، والدخل الوطني تلتهمه الأفواه الجائعة.

يلزم استدعاء معادلة «أفواه وأرانب» في الفيلم الشهير، فاتن حمامة «نعمة»، بُحَّ صوتها، ولا مجيب، وفريد شوقي «عبدالمجيد» سادر في غيّه، في سُكره.. وبيخلف عيال، ربع مليون نسمة في ٥٠ يومًا، أقرب لتحضير قبلة سكانية ستنفجر في وجوهنا جميعًا. «مدبولي» يرسم الطريق الآمن لتوقي الكارثة المحدقة: «نتكاتف معًا من أجل تنفيذ برنامج مدته ١٠ سنوات تركز أهدافه على ألا يزيد عدد المواليد في الأسرة الواحدة على طفلين فقط..».

الوصفة سهلة، ولكن دونها «خُرط القتاد» كناية عن الشيء البعيد المستحيل، والقتاد نوع من الشجر الشوكي، الذي لا يُوصل إليه إلا بعسر ومشقة، وخرط القتاد يعنى خرط وإزالة شوكه للوصول إلى ثمره.. وعن «خُرط القتاد» اسألوا رجال الدين، جماعة تكاثروا!!.